ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X
مجلـة أبعاد / مختبر الأبعاد القيمية للتحولات الفكرية والسياسية بالجزائر
جامعة وهران2 - المجلد 05 - العدد 01 / جوان 2019

مشكلات النهضة ومعوقاتها عند سيد قطب

The problems of the Renaissance and its obstacles at Sayed Qutb

د. رشيد مقدم*

جامعة زيان عاشور- الجلفة - الجزائر

****

تاريخ الإرسال: 2018/11/15 تاريخ القبول: 2019/06/09 تاريخ النشر: 2019/06/30

الملخص: حاول سيد قطب تقديم مشروع حضاري إصلاحي شامل، منطلقاً من إيمانه بشمولية الإسلام ومؤمناً بأن المسلمين باستطاعتهم استرجاع حضارتهم لتنير الشرق والغرب بالعلوم المفيدة والاستقرار والسلام، ولذلك لم تتوقف أفكاره وكتاباته الغزيرة عن اقتراح الحلول للأزمات الواقعة، حتى اعدم صاحبها، إلا أن طرح سيد قطب الشامل لم يكن ليكفي في إنقاذ الأمة، لأنه في آخر الأمر جهد فردي، لم يقصر صاحبه في بذل أقصى وسعه بما أوتي من إمكانيات، وكانت تنقصه المؤسسية التي لم تتوفر له بشكل كاف في تلك اللحظة. ويرى سيد قطب أن الأمة الإسلامية تحتاج إلى إصلاح ديني فمشكلة العالم الإسلامي حسبه هي مشكلة دينية عقائدية، لا علاقة لها بالفلسفة ولا العلم، ورأى أن الدين لا يتحول إلى حياة إسلامية، إذا لم تدرك العصبة المؤمنة في الأرض .

الكلمات الدالة: الإصلاح؛ الدين؛ النهضة؛ الإخلاص.

Abstract: SayyedQutb tried to present a comprehensive reformist civil project, based on his belief in the universality of Islam and believing that Muslims can regain their civilization to enlighten the East and the West with useful sciences, stability and peace. Therefore, his ideas and writings did not stop proposing solutions to the crises. It was not sufficient to save the nation, because in the end it was an individual effort, the author did not limit himself to the maximum of his potential, and his lack of institutional, which was not enough for him at that moment. In the opinion of SayyidQutb that the Islamic nation needs a religious reform, the problem of the Islamic world is a religious religious problem, has nothing to do with philosophy or science, and believes that religion does not become an Islamic life, if not aware of the league locked in the ground.

Keywords: Reform ; Religion ; Renaissance ; Sincerity.

* الباحث المُرسل: mekademrachid17@gmail.com

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

1. مقدمة:

في كل مرحلة من تاريخ أمة من الأمم تسطع في سمائها نجوم تهدي الحائرين وقد تضيء سماءها حتى لكأنها في رابعة النهار إذا كثروا واشتد وهجهم فامتد مخترقا الزمان والمكان، كأشبه ما يكون بالطاقة المتجددة التي لا تنفد.

لقد تعددت الجهود الفكرية في الواقع العربي والإسلامي الحديث والمعاصر، والتي راحت تبحث عن مخرج للإصلاح والتغيير لواقعنا الحضاري، وذلك لإخراجه من وطأة الهزيمة الحضارية التي مُني بها المسلم المعاصر، نتيجة لعوامل داخلية وخارجية لا تخفى تداعياتها على كل راصد ومتابع لمسار المرحلة وما أفرزته من تحديات شكلت تهديدًا مباشرًا لكياننا السياسي والحضاري.

ووجد الفكر العربي الإسلامي نفسه وهو يواجه ضمن واقع عالمي تتسارع وتيرته في التغيير والتقدم في ظل محاولات السيطرة والهيمنة على الشعوب العربية الإسلامية، ضمن مواجهة محورين يبلور من خلالهما توجهاته الفكرية والإصلاحية تجاه تحديات المرحلة:

المحور الأول، يقف عند حدود الاستلاب الفكري الذي سعى إلى الترويج للنمط الحضاري والثقافي الغربي، وتكريس القناعة بالبديل الغربي للنهضة والتقدم. والمحور الآخر هو الذي سعى إلى التمسك بهويته التاريخية والحضارية العربية والإسلامية كتعبير عن الخصوصية الثقافية التي تشكل ضرورة مصيرية لكل مشروع فكري يسعى إلى النهوض واستشراف آفاق مستقبلية ناجزة وفعالة ارتباطًا بذاتيتنا العقدية والحضارية.

وقد سيطرت الخلافات المذهبية على كافة التيارات الفكرية التي ظهرت في ساحة الفكر العربي الإسلامي الحديث والمعاصر، ويمكن تلمس هذه الخلافات حتى في إطار التيار الواحد، وترتب على ذلك عدم حسم القول عند مؤرخي هذه التيارات بخصوص تصنيفها وتقسيمها، وذلك لأن هذه المسألة تخضع لمعايير فكرية وعقدية يحددها الانتماء المذهبي لهذا الفكر أو ذاك، بالإضافة إلى الصفة التركيبية التي تتعلق بتاريخ المجتمعات العربية والإسلامية وواقعها المعاصر حيث اصطدمت خلاله برياح الحداثة وتيارات التقدم.

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

ويعدّ سيد قطب علامة فارقة في تاريخ الفكر الإسلامي عامة وتاريخ الأفكار داخل الحركات الإسلامية خاصة، فهو انتقل بالفكر الإسلامي كله نقلة نوعية كبيرة جعلته يمثل ملمحا فاتحا ومفارقا في التطور الفكري العام داخل العالم الإسلامي وداخل الحركات الإسلامية الحديثة والمعاصرة.

على المستوى الفكري العام أرسى سيد قطب النواة الأولى لمدرسة أسلمة العلوم الإسلامية والتأسيس لمنهج التعامل مع الجانب الثقافي والفكري والعقدي والحضاري العام في الظاهرة الإسلامية.

وكما كانت مدرسة قطب ثورية في الحركة كانت كذلك في منهج التعامل مع الحضارة الإسلامية، حيث اعتبر مناهج المستشرقين في تناول الجانب غير المادي بالحضارة الإسلامية مناهج منحازة وبالتالي يجب استبعادها، كما قدم الفكر الإسلامي بشكل فيه طابع التميز والاستعلاء الإيماني حيث مصادر خصوصيته تنبع من كونه يستلهم قوته من الوحي وهو مصدر أعلى منه وفوقه.

يُعتبَر المفكر الإسلامي سيد قطب واحدًا من أهم الكتاب والمفكرين الذين أثاروا جدلا في حياته وبعد موته، فقد برع سيد قطب في موضوع إنتاج الأفكار والطروحات والنظريات والتي كان يقول عنها دومًا أنّ أصحاب الأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئًا كثيرا ولكن بشرط واحد أن يموتوا هم لتعيش أفكارهم، أن يُطعِموا أفكارهم من لحومهم ودمائهم، أن يقولوا ما يعتقدون أنه حق ويقدّموا دماءهم فداءً لكلمة الحق، إنّ أفكارنا وكلماتنا تظلّ جثثًا هامدة حتى إذا متنا في سبيلها أو غذيناها بالدماء انتفضت حيّة، وهو يطرح الفكر الإسلامي بسعته ومرونته التي تجعله يرفض التلفيق والترقيع، فهو قد يتشابه مع غيره في بعض الجزئيات لكنه لا يلتقي مع غيره بحيث نقول "اشتراكية الإسلام" أو ليبرالية الإسلام".

وفوق ذلك طرح العدالة الاجتماعية في الإسلام وتكلم عن الإسلام ومشكلات الحضارة ومعوقاتها والأسباب التي جعلت العالم الإسلامي يتراجع بعدما كان في طليعة الحضارات، لذا أردت أن أعالج في هذا المقال معوقات النهضة عند سيد قطب والسؤال المطروح هنا:

فيما تظهر معوقات النهضة؟ وما هو المشروع البديل الذي قدمه سيد قطب للنهوض بالعلم الإسلامي؟

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

2. معوقات النهضة:

تعتمد النهضة في أي مجتمعٍ من المجتمعات الإنسانية على شروط عدة، إن تضافرت واتسقت أنتجت مجتمعاً حضارياً، ومعنى حضاري هو درجة التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والعلمي والفكري إلخ، فلا يمكن لنهضة اقتصادية أو علمية أن تنهض بمجتمعٍ من دون توافر الشروط اللازمة لهذا النهوض. النهوض يعني إسقاط التخلف، والتخلف مفهوم يدلّ على تدني عمل الأنساق المشكّلة للنهضة، بحيث تكون في أدنى مستويات عملها، وتكون الروابط بين هذه الأنساق غير متسقة، بل ربما تقع في حقل التناقض والصراع.

إنّ أهم شرط للنهضة هو الفكر الناقد والقادر على تحديد مشكلة التخلف وأسبابها، والمجتمعات الإسلامية لا تجتهد في هذا الباب، بما يخدم تطور مجتمعاتها وفكرها. إنّ الأفكار لا تتمتع في المجتمع الإسلامي بقيمةٍ ذاتية، تجعلنا ننظر إليها بصفتها أسمى المقولات الاجتماعية، وقوة أساسية تنظم وتوجه قوى التاريخ كلّها، وتعصمها بذلك من محاولات الإحباط مهما كان نوعها،وهذه الثغرة تعود في تكوينها إلى شيء من التخلف في تطورها الاجتماعي[1].

إن الفكر العربي والإسلامي بدأ رحلته في التاريخ الحديث بحال الصدمة والذهول أمام اكتشافه الفارق الحضاري الكبير بين العالم العربي والغربي، بين ضعفه وقوة الآخرين، تخلفه وتقدم الآخرين، فوضاه وعبقرية نظام الآخرين، هذه الصدمة المذهلة للعقل والمربكة للوجدان انعكست في أفكار ذلك الجيل بدءا من رحلة "رفاعة الطهطاوي" إلى فرنسا وانبهاره بالحضارة الغربية مرورا بكتابات "قاسم أمين" عن حرية المرأة وأفكار "علي عبد الرازق" عن الإسلام وأصول الحكم، وصولا إلى إحباطات "طه حسين" الذي رأى أن النهوض بأمة المسلمين يكون بإتباع أوربا في خيرها وشرها على السواء، وهذا من خلال كتابه (مستقبل الثقافة في مصر).

وهذا الكتاب الأخير انتقده سيد قطب في مقال، ولقي هذا الانتقاد ترحيبا من قبل العديد من المصريين، وبعد شهرين من صدور مقاله طلبت منه أسبوعية "النذير" السياسية التابعة لجماعة، الإخوان نشر نفس المقال، وكان هذا أول اتصال له بحركة

[1] مالك بن نبي وسيد قطب جدلية الحضارة والتخلف،مرصد مينافي دراسات تنويرية، اطلع عليه بتاريخ2ديسمبر2018

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

الإخوان المسلمين وذلك عام 1939، وفكر بعد ذلك أن ينشر المقال على شكل كتاب بعنوان (نقد مستقبل الثقافة في مصر).[1]

ومع اقتراب القرن العشرين ميلادي من انتصافه، بدأت تظهر علامات وعي جديد، وهي العودة إلى التراث الإسلامي والاعتزاز به، والوعي بمشكلات الحضارة الغربية، وفي هذه الفترة ظهرت كتابات سيد قطب والتي مثلت بحق القفزة من الانبهار بحضارة الغرب إلى الاعتزاز بالإسلام، لأن الإسلام عند سيد قطب هو الحضارة :«....الإسلام لا يعرف إلا نوعين اثنين من المجتمعات مجتمع إسلامي ومجتمع جاهلي. المجتمع الإسلامي هو المجتمع الذي يطبق فيه الإسلام عقيدة وعبادة، وشريعة ونظاما، وخلقا وسلوكا، والمجتمع الجاهلي هو المجتمع الذي لا يطبق فيه الإسلام، ولا تحكمه عقيدته وتصوراته، وقيمه وموازينه، ونظامه وشرائعه، وخلقه وسلوكه المجتمع الإسلامي ».[2]

يرى سيد قطب أن المجتمع الإسلامي هو بالضرورة مجتمع متحضر[3].« هو وحده المجتمع المتحضر، والمجتمعات الجاهلية بكل صورها المتعددة مجتمعات متخلفة» وحين يكون الحكم في المجتمع لله وحده، يتحرر البشر من العبودية للبشر، وتكون هذه هي حين تكون الحاكمية العليا في مجتمع لله وحده، تكون هذه هي الصورة :« الحضارة الإنسانية الوحيدة التي يتحرر فيها البشر تحررا كاملا وحقيقيا من العبودية للبشر، وتكون هذه هي "الحضارة الإنسانية"، لأن حضارة الإنسان تقتضي قاعد أساسية من التحرر الحقيقي الكامل للإنسان، ومن الكرامة المطلقة لكل فرد في المجتمع، ولا حرية ولا كرامة للإنسان في مجتمع بعضه أرباب يشرعون وبعضه عبيد يطيعون».[4]

ونظر سيد قطب إلى الواقع الإسلامي والإنساني عامة، فبدا له واقعا بعيدا عن الإسلام وأهله، وأن الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، لا علاقة لها بالحياة الاجتماعية في ظل الإسلام « إن الحياة الإسلامية قد توقفت منذ فترة طويلة في جميع أنحاء الأرض، وأن وجود الإسلام ذاته من ثم قد توقف كذلك... وحين نستعرض وجه

[1] Adnan Musallam , From secularism to jihad: SayyidQutb and the foundations of radical Islamism, British Library cataloguing in Publication Data is available, 2005 , P 83

[2] سيد قطب، معالم في الطريق، ط 6، دار الشروق، القاهرة، 1979، ص 105

[3] المصدر نفسه، ص 106

[4] سيد قطب، معالم في الطريق، ص 107،108

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

الأرض كله اليوم، لا نرى لهذا الدين وجودا، إن هذا الوجود قد توقف منذ أن تخلت آخر مجموعة من المسلمين عن إفراد الله سبحانه بالحاكمية في حياة البشر، وذلك يوم أن تخلت عن الحكم بشريعته وحدها في كل شؤون الحياة».[1]

وعليه فالمشكلة عند سيد قطب تعود إلى الهزة التي حدثت في عهد بني أمية، عندما انحرفوا والخلافة الراشدة، وما تبع ذلك من بالمجتمع من القمة التي كان عليها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، هزات ارتدادية كاعتماد العباسيين على عناصر دخيلة عن الإسلام، وهو ما يزال حديث عهده، كالفلسفة الإغريقية والمباحث اللاهوتية الإغريقية«.. واشتغل الناس في الرقعة الإسلامية بالفلسفة وبالمباحث اللاهوتية، التي تجمعت حول المسيحية والتي ترجمت إلى اللغة العربية ونشأ عن هذا الاشتغال الذي لا يخلو من طابع الترف العقلي في عهد العباسيين وفي الأندلس أيضا انحرافات واتجاهات غريبة على التصور الإسلامي الأصيل».[2]

وهذا ما أدى إلى التشرذم والابتعاد شيئا فشيئا عن روح الإسلام وتعاليمه، وعمق الهوة بين الإسلام والمجتمع الإسلامي، وقد تولدت عن هذه الوضعية نتائج سلبية ظهرت في المجتمع لإسلامي ولعل أبرز هذه النتائج: الأوضاع الاجتماعية المتردية وخاصة المجتمع المصري، وأحداث حركة الإخوان المسلمين وما عاناه أفرادها، وفشل الحضارة الغربية في إقامة حضارة إنسانية.

لقد صاحبت أفكار سيد قطب وظهورها سيطرة النظامين الاقتصاديين الرأسمالي والاشتراكي، وعايش بنفسه مجتمعه المصري وهو ينتقل من النظام الرأسمالي بعد أن كان إقطاعيا ملكيا وكيف أصبح نظاما اشتراكيا استبداديا، ولاحظ المجتمع المصري ما قبل ثورة أكتوبر 1952 وما هذا الوضع بعدها، والأوضاع المتدنية كحالة البؤس والحرمان والفقر وسوء توزيع الثروات الاجتماعي السيئ الذي تعانيه الجماهير في مصر، مخالف لطبائع الأشياء لا يحمل عنصرا واحدا من عناصر البقاء، يملي له في الأجل ويهيئ له فرصة البقاء، أنه مخالف لروح الحضارة الإنسانية بكل معنى من معانيها، مخالف

[1] سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، ط 13، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص 183
[2] سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ط 15، دار الشروق، القاهرة، 2002، ص 10،11

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

لروح الدين، مخالف لروح العصر، ذلك فوق مخالفته لأبسط المبادئ الاقتصادية السليمة[1].

ولهذا يرى أن الأمر ينذر بالخطر ومؤشر على أن الوضع يسير نحو الانفجار والتغيير، ومن مظاهر هذه المأساة يذكر سيد قطب على سبيل المثال لا الحصر، إشاعة البطالة والتعطل، والأرض محتكرة في أيدي قلة قليلة لا هي تستغلها استغلالا كاملا ولا تدعها للقادرين.[2]

وأشارت بعض الإحصائيات آنذاك أن قرابة نصف مساحة الأرض الزراعية كان يملكها 22%،من كبار الملاك وأن 6% من الملاك يملكون ما قدره 38,70 % من مساحة الأراضي بينما[3]93,10 %لا يملكون إلا ما نسبته 31,6 فهذه الأرقام تبين الاختلال الواضح في توزيع الأراضي واستغلالها كما تشير إلى غياب العدالة الاجتماعية، ومعروف ما لهذه الوضعية من انعكاسات سلبية على الحياة الاقتصادية والسياسية، فهذه أوضاع كما يرى سيد قطب أنها تهدر الكرامة الإنسانية، وتقضي على الإنسان، من حيث الخلق والضمير، وتساهم في تفشي الفساد في المجتمع والدولة وتؤدي إلى الانحلال الفردي والقومي، وإلى عدم تكافؤ الفرص وغياب العدالة بين الجهد والجزاء، وأوضاع هذه هي حالتها، قد أدت إلى استفحال القلق والاضطراب في نفوس الأفراد والجماعات، وهو المبرر الذي رمى بالمجتمع كما يرى سيد قطب إلى الارتماء في أحضان الشيوعية.

ومن يجرؤ على القول بأن مئات الألوف من العجزة المتسولين الباحثين عن الفتات في صناديق القمامة، العراة الجسد، الحفاة القدم، ناس لهم كرامة الإنسان وحقوق الإنسان، وهذا الحرمان الاجتماعي قد أدى إلى الحرمان السياسي« فمن الخرافة التي تتحدث عن " الأمة مصدر السلطات" وعن حق الانتخاب وحرية الاختيار، فهذه الأمة مصدر السلطات هي هذه الملايين الجائعة الهزيلة الجاهلة المستغفلة، هذه الملايين المشغولة نهارها وليلها بالبحث عن اللقمة».[4]

[1] سيد قطب، معركة الإسلام والرأسمالية، ط 13، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص 05
[2] أرفيس علي، اشكالية النهضة بين مالك بني نبي وسيد قطب،دراسة تحليلية، ص100
[3] محمد حافظ دياب، سيد قطب الخطاب والإيديولوجيا، دون طبعة، دار العالم الثالث، دون تاريخ، ص 24،23)
[4] سيد قطب، معركة الإسلام والرأسمالية، ص 16،12،10

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

كما يؤكد سيد قطب أنه:« الخرافة أن تتحدث في عهود الإقطاع عن الدساتير من والبرلمانات، ونحن نعيش في عهود الإقطاع بكل مقوماتها لا ينقص منها شيء.... فالحديث عن الدساتير والبرلمانات، يصلح مادة فكاهة يتسلى بها الفارغون، ولكنه لا يصلح حديث أمة تريد الجد وتنظر إلى الواقع بعين الاعتبار».[1]

وقد انعكست الأوضاع الاجتماعية المتردية والأوضاع السياسية المغلقة على مسألة الحرية «أما حرية القول وحرية الفكر، فيسأل عنها القلم السياسي وتسأل عنها المعتقلات الحربة والسجون، وتسأل عنها حوادث التعذيب، في كل قضية سياسية في تاريخ مصر الحديث».

أما الأمر الثاني الذي لفت انتباه سيد قطب هو ما تعرضت له حركة الإخوان المسلمين، فالمتتبع للخط الفكري لسيد قطب يراه صورة طبق الأصل لمنحى حياته، فمن تعرفه على الإسلام، إلى تعرفه على الحضارة الغربية وهو مسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ولذلك تعتبر كتبه سلسلة متواصلة لتبني منهج التغيير، وقد مر في حياته الفكرية بمرحلتين:[2]

– الأولى تعرف بالمرحلة الاجتماعية، حيث اهتم بقضايا مجتمعه وخاصة الأنظمة السائدة ومقارنتها بالإسلام، فكانت هذه المرحلة تأليفية نظرية ربط فيها بين التصور الإسلامي والواقع الاجتماعي.

– والثانية تعرف بمرحلة تبني منهج التغيير، وتبدأ بعد عودته من الولايات المتحدة الأمريكية، وقد صادف هذا تحولا سياسيا واجتماعيا للمجتمع المصري وفي العالم أيضا، حيث سيطر الضباط الأحرار بقيادة جمال عبد الناصر على الحكم كحدث أول، بينما يتمثل الحدث الثاني، وإليه يرجع تغيير الخط الفكري لسيد قطب وهو الفجوة والخلاف الذي حدث بين لإخوان المسلمين وزعماء الثورة، على الرغم من التقارب الذي كان بينهما، وقرب سيد قطب من الاثنين معا، فهو من جهة كان يعتبر أن شباب الإخوان هم

[1] أرفيس علي، المرجع السابق ص101
[2] سيد قطب، معركة الإسلام والرأسمالية، ص 11

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

طلائع البعث الإسلامي، ومن جهة أخرى أن ضباط الثورة هم حماة هذا المشروع والمدافعين عليه[1].

ثم توالي النكبات بعد ذلك بتعرض أفرادها إلى السجون والتعذيب، وشتات الجماعة لقد كانت »: واضطراب أفرادها، وخاصة تحول منهجها كما أرساه مرشدها ومنشئها حسن البنا إحدى سلبيات هذه الجماعة هي ذلك الفارق الكبير والمسافة الطويلة والمساحة الكبيرة بين القائد المرشد وعيا ووضوح رؤية ومرونة حركة واتساع أفق وإدراكا لعظم الغاية، ومن ثم الإصرار على سياسة المراحل الرافضة للتعجل والعجلة، وبين رجالات الصف الثاني في الجماعة فلما افتقدت »: وباغتيال حسن البنا، فقدت الجماعة القائد والمرشد، ودخلت في منعرج جديد الجماعة الربان، والسفينة تكتنفها العواصف وتحيط بها في ظلمات بعضها فوق بعض في بحر لجي[2]، فقدت مع المرشد كثيرا من الرشد الذي تمثل فيه، فدخلت بذلك الحدث المأساوي في منعطف جديد[3] ولهذا قد كان موقف سيد قطب من هذا الأمر، الذي كان يعلق عليه آمالا عريضة، إنما يعود إلى اضطراب الجماعة بعد غياب مرشدها العام حسن البنا، وهو الأمر الذي أراد سيد قطب أن يقوم به، فكان هذا من بين الأسباب كي يصبح قائدا ومنظرا للجماعة بعد أن كان مجرد متعاطفا فقط.

أما الأمر الآخر الذي لفت انتباه سيد قطب هو فشل الحضارة الغربية، حيث رأى أن الصراع الحقيقي يكمن بين الفكرة المادية التي تمثلها كل دول العالم الغربي الشرقي الاشتراكي والغربي «وعندئذ ينتهي صراع الشيوعية الرأسمالي وبين الفكرة الإنسانية التي يمثلها الإسلام والرأسمالية، اللتان هما خطوتان في فكرة واحدة هي الفكرة المادية، لا فكرتان مخ تلفتان، وعندئذ يبدأ الصراع الحقيقي بين الفكرتين الرئيسيتين في العالم : الفكرة الإنسانية ويمثلها الإسلام[4]، والفكرة المادية وتمثلها الشيوعية في آخر مراحلها ».[5]

[1] سيد قطب، معركة الإسلام والرأسالية، ص 11
[2] المصدر نفسه، ص 21
[3] طارق البشري، الحركة الإسلامية، ط 2، دار البراق للنشر، تونس، 1990، ص 231
[4] علي بودربالة، منهج التغيير الاجتماعي في الفكر الإسلامي، ط 1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 133،134
[5] سيد قطب، نحو مجتمع إسلامي، ط 10، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص 39

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

ينظر سيد قطب للحضارة كونها فلسفة تصور للكون والحياة والإنسان، ومنجزات فنية اقتصادية وتقنيات علمية وتكنولوجية، والأمر نفسه بالنسبة للحضارة الغربية، وعليه فإن سيد قطب يفرق في موقفه من هذه الحضارة بين هذا وذاك، وأكثر من هذا فهو يعترف ويفتخر بأن هذه الحضارة هي امتداد تاريخي للحضارة الإسلامية، التي نشأت في ظل المناهج التجريبية وتوجهاتها المأخوذة من القرآن، وهذا بشهادة الغربيين أنفسهم، إلا أن انتقالها إلى الغرب صادف ذلك الانفصال النكد بين لعلم والدين، ونظرا لهذا العداء التاريخي القائم بينهما، فقد وقع الفصل بين العلوم الإسلامية التي أخذوها منا كطرق فنية ومناهج وجردوها من فلسفتها فأصبحت مناهج جامدة لا تتوافق مع طبيعة الإنسان[1].

كما أن سيطرة الكنيسة قد أدى حسب رأي سيد قطب إلى تحريف الأصول الربانية للعقيدة النصرانية ومن هنا بدأ الانحراف« قيام كنيسة في أوربا تملك السلطان باسم هذه النصرانية المحرفة، وتفرض تصوراتها الباطلة بالقوة، كما تفرض معلوماتها الخاطئة والناقصة عن الكون المادي، وتعارض بوحشية خط البحث العلمي في ميدانه الأصيل بمقولات تعطيها طابع الدين والدين منها بريء».[2]

ومن هنا نشأت المذاهب الغربية الحديثة معادية للدين، والسبب في ذلك راجع إلى هذا الانحراف من العقلانية المثالية إلى الوضعية الحسية التجريبية إلى الجدلية المادية، فهذه المراحل في الفكر الأوربي الحديث تعبر عن ذلك الصراع القائم بين رجال الكنيسة والعلماء حول مصادر المعرفة، فكانت هذه المحاولات هروبا من الكنيسة وتصوراتها الدينية الخاطئة[3].

ونتيجة لكل هذا قد تطورت الحضارة الغربية في العلوم التجريبية البحتة المادة الجامدة والمادة الحية إلا أن علمها بالإنسان بقي محدودا، وما تعرفه عنه في ضوء هذه المناهج التجريبية لا يعبر عن حقيقة الإنسان وكنهه، ومن هنا يبدأ الإفلاس والفشل

[1] محمد عمارة، الصحوة الإسلامية التحدي الحضاري، ص 145
[2] سيد قطب، الإسلام ومشكلات الحضارة، ط 11، دار الشروق، القاهرة، 1992، ص 110
[3] المرجع نفسه، ص 146

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

وتتعالى الصيحات بالعودة إلى الإنسان "مقياس كل شيء" ومن هؤلاء العالم الفرنسي" الكسيس كاريل " صاحب كتاب(الإنسان ذلك المجهول[1]

ولما أرادت هذه الحضارة أن تتعرف على عالم الإنسان بنفس المناهج التي استعملتها في علوم المادة كانت نظرتها خاطئة ووقعت في الانحراف، وهذه بالضبط مشكلتها، فالإنسان كائن حي، ولكنه كائن متفرد فذ في تركيبه معقد في خصائصه، وليس كائنا بيولوجيا غريزيا ك ما تعتقد ذلك النظريات العلمية الوضعية المبنية على هذا الأساس العلمي المادي للإنسان . إذن فالحضارة الغربية حضارة مادية في المبادئ والنتائج.

ولهذا يتفق سيد قطب مع ألكسيس كاريل أن دينها هو الصناعة ولهذا جعلت من البشر آلات سحقت فيهم القيم الروحية والجمالية، لقد انحرفت هذه الحضارة عن مسارها الصحيح، عندما ارتكزت على مبادئ الدين العلمي والآداب يجب أن يكون الإنسان مقياسا لكل شيء، ولكن الواقع هو عكس ذلك فهو غريب "الصناعية في العالم الذي ابتدعه...إننا قوم تعساء، لأننا ننحط أخلاقيا وعقليا...إن الجماعات والأمم التي بلغت فيها الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم، هي على وجه الدقة الجماعات والأمم الآخذة" في الضعف، والتي ستكون عودتها إلى البربرية والهمجية أسرع من عودة غيرها إليها هذه المعطيات سواء الأوضاع الاجتماعية المتردية في المجتمع المصري، أو الأحداث التي تعرضت لها حركة الإخوان المسلمين أو فشل الحضارة الغربية[2]، هي التي جعلت سيد قطب في دراساته وأبحاثه يتبنى منهج التغيير، وقد حاول من البداية الكشف عن موانع النهوض لأجل توظيفها لصياغة مشروع نهضوي. ويمكننا تصنيف معوقات النهوض عند سيد قطب إلى معوقات داخلية ومعوقات خارجية.

1.2 المعوقات الداخلية:

تخيم على الإسلام وعلى حكم الإسلام حسب سيد قطب شبهات داكنة في نفوس هذا الجيل، بعض هذه الشبهات ناشئ من الجهل الفاضح بكل شيء عن هذا الدين، وكذلك عن التباس فكرة الدين ذاته، بمن يسمون في هذا العصر "رجال الدين"، وهو التباس محرف لصورة الإسلام في نفوس الناس فهؤلاء "الرجال الدين" أبعد خلق

[1] سيد قطب، نحو مجتمع إسلامي، ط 10، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص 39
[2] سيد قطب، الإسلام ومشكلات الحضارة، ص 110

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

الله عن أن يمثلوا فكرته ويرسموا صورته، لا بثقافتهم ولا بسلوكهم، ولا حتى بزيهم وهيئتهم، ولكن الجهل بحقيقة هذا الدين، هو الذي أدى بالناس لا يرون صورة الإسلام إلا في هؤلاء الذين يعرفونهم "رجال الدين" وهي أسوأ صورة ممكنة للإسلام ولأي دين من الأديان[1].

وبعض هذه الشبهات ناشئ عن التباس صورة حكم الإسلام ببعض أنواع الحكومات التي تسمي نفسها "حكومات إسلامية"، وتمثيل هذه الحكومات لحكم الإسلام، كتمثيل من يسمونهم "رجال الدين" لفكرة الإسلام، كلاهما تمثيل مزور كاذب مشوه، ولكن الجهل بحقيقة فكرة الإسلام عن الحكم حتى بين المثقفين، لا يدع الصورة الصحيحة للحكم الإسلامي غير هذه الصورة المزورة والمشوهة.[2]

وهذه الشبهات بعضها ناشئ كذلك من التباس صورة الحاكم الإسلامي ببعض الشخصيات التاريخية التي ادعت أنها تحكم باسم الإسلام، وهي أبعد ما تكون عن روح الإسلام وقانونه.[3] ومن أبرز الشبهات التي تخيم في نفوس الناس على حكم الإسلام: بدائية الحكم، حكم المشايخ والدراويش، طغيان الحكم، الحريم، التعصب ضد الأقليات.

أ. بدائية الحكم:

يخلط الكثير من الناس بين النشأة التاريخية للإسلام وفكرة الإسلام المجردة، فهؤلاء حين يسمعون كلمة "الحكم الإسلامي" تقفز إلى خيالهم صور الخيام في الصحراء، وصور الأعراب الرحل على الإبل، أو العرب المقيمين في الأكواخ، ويتصورون بسذاجة أن معنى الحكم الإسلامي هو العودة إلى تلك الحياة البسيطة الساذجة، فلا عمارة ولا مدنية ولا صناعة ولا تجارة ولا علم ولا فن، حتى الشعر ذلك الفن العربي الأصيل يخيل لهذا الفريق من الناس أن حكم الإسلام سيختم على أفواه قائليه ومنشديه، ما لم يحولوه إلى مواعظ دينية وألفيات إن هؤلاء جميعا يخلطون بين النشأة التاريخية للإسلام وبين النظام الإسلامي ذاته كمجرد نظام، فالنظام الإسلامي ليس معناه فقط صورة ذلك المجتمع الإسلامي في نشأته، بل معناه كل صورة اجتماعية خاضعة لفكرة الإسلام الكلية

[1] سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص 60
[2] المصدر نفسه، ص 60
[3] أرفيس علي، المرجع السابق ص 103

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

عن الحياة. وهو يتسع لعشرات من الصور، تتفق مع النمو الطبيعي للمجتمع، ومع حاجات العصر المتجددة، ما دامت فكرة الإسلام الكلية تسيطر على هذه الصور في محيطها الخارجي الفسيح.[1]

كذلك يخلط الكثيرون بين الشريعة الإسلامية في ذاتها وبين النشأة التاريخية للفقه الإسلامي، فيحسبون أن معنى استيحاء القوانين من الشريعة هو الوقوف عند الأحكام الفقهية التي وردت فيها على توالي الزمان، وهذا خلط مضحك، فهذه الشريعة بما فيها من مرونة وشمول استجابت المتوسعة في لمطالب حياة البادية، كما استجابت فيما بعد لحياة الدولة الناشئة في عهد محمد ثم ظلت تستجيب لحياة الحضارة فيما بعد، ما بقيت في الأمة الإسلامية حياة،، عهد عمر ثم توقف نمو الفقه حينما توقفت حيوية الأمة الإسلامية ذاتها، فإذا دبت الحياة في هذه الأمة فالشريعة الإسلامية حاضرة تلبي حاجاتها المتجددة ومطالبها المتغيرة، بما فيها من سعة ومرونة وشمول[2].

ب. حكم المشايخ والدراويش:

هناك الكثير من الناس يتصورون أن حكم الإسلام معناه حكم المشايخ والدراويش، وقد جاء هذا التصور من الثقافة السطحية الناقصة، فالأزياء الخاصة للمشايخ والدراويش ليست شيئا في الدين، فليس هناك زي إسلامي وزي غير إسلامي، والإسلام لم يعين للناس لباسا، فاللباس مسألة إقليمية ومجرد عادة تاريخية، وليس في الإسلام رجال دين لا تقام الطقوس الدينية إلا بوساطتها، والتفقه في الدين اجتهاد، كالتفقه في الطب والهندسة والتجارة وسائر المعارف الإنسانية الأخرى[3]

نعم قد توجد مناصب رسمية كمناصب القضاء، ولكن الإسلام لا يعرف أن هناك قاضيا للأحوال الشخصية يحكم بالقانون الإسلامي، وقاضيا للعقوبات والمدنيات يحكم بقانون غيره، الإسلام لا يعرف إلا شريعة واحدة، تنظم العقوبات والشؤون المدنية، كما تنظم أحوال الزواج والطلاق والميراث، والذي يتولى القضاء في هذه النواحي جميعا أو في ناحية واحدة منها إنما يتولاه باسم تفقهه في الشريعة كلها أو بعضها، كما يتولى الطبيب عمله لتعلمه الطب العام أو التخصص في شيء منه، وكما يتولى المهندس عمله

[1] علي بودربالة، المرجع السابق، ص 130
[2] سيد قطب، الإسلام ومشكلات الحضارة، ص 112
[3] سيد قطب، معركة الإسلام والرأسمالية، ص 69

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

لتخصصه في الهندسة أو فرع منها، ليس رجل دين في الإسلام، إنما هو مسلم حذق فرعا من فروع المعرفة، فأسند إليه العمل الذي يحسنه، ولكل امرئ ما يحسنه في الحياة. وإمامة المصلين ليست وقفا على شخص من المصلين، إنما يؤمهم أفضل الموجودين، ومن هذا البيان يتضح أن ليس في الإسلام " رجال دين" يخشى أن يتولوا الحكم إذا صار الحكم إلى الإسلام.[1]

وكان الحذق في كل حرفة هو المؤهل لها، دون نظر إلى درجة الفقه الديني لصاحبها ولا حتى الميزة الكبرى التي يعتبرها الإسلام أساسا للتفاضل بين الناس وهي التقوى.

كتب أبو بكر أعرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم،بروح الإسلام الى عبيدة الجراح ،الذي كان يلقبه رسول الله" أمين الأمة" يقول " .... بسم الله الرحمنالرحيم، أبي عبيدة من عبد الله بن أبي قحافة إلى أبي عبيدة بن الجراح، سلام الله عليك، أما بعد: فقد وليت خالدا قتال العدو في الشام، فلا تخالفه واسمع له وأطع، فإني وليته عليك، وأنا أعلم أنك خير منه وأفضل دينا، ولكن ظننت أن له فطنة في الحرب ليست لك، أراد الله بنا وبك سبيل الرشاد إن حكم الإسلام لن يدع الدراويش يتدروشون ولا مشايخ الطرق يعيشون على النذور، إن الإسلام يطلب إلى كل فرد أن يعمل عملا ليأجره عليه أجرا، فلا أجر بلا جهد، ولا جزاء بلا عمل، والصلوات والدعوات عبادة شخصية وليست عملا اجتماعيا...".[2]

ج. طغيان الحكم:

هناك الكثير من المفكرين ورجال الفن يخافون من حكم الإسلام أن ينصب لهم المشانق أو يحرقهم بالنار أو يلقي بهم في ظلمات السجون، لأن الحكومة الدينية من طبيعتها الاستبداد والظلم، وخنق الحريات وكتم الأنفاس وضيق الأفق وجمود التفكير[3]

جاءت هذه الصورة البائسة لحكم الإسلام وحكومة الإسلام من محاكم التفتيش في عصور الظلمات، تلك التي حرقت العلماء وقتلتهم بالخوازيق وألقت بهم إلى الحيات والثعابين، كما جاءت من الحكومات القائمة اليوم باسم الدين في بعض بلاد المسلمين، ولكن واحدة من هذه الحكومات ليست من الإسلام في شيء وهي لا تعتمد على الإسلام،

[1] سيد قطب، معركة الإسلام والرأسمالية، ص 70
[2] أرفيس علي، المرجع السابق ص107
[3] المرجع نفسه ،ص107

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

أعط هذه الشعوب الخاضعة للاستبداد علما ورقيا ونورا ومعرفة بالدين، تسقط عنها هذه الغشاوة، وتدرك أن الإسلام في صفها على الحاكمين المستبدين، وليس في صف هؤلاء الحاكمين.[1]

فالإسلام هو الدين الذي قرر للمجتمع نظاما لا سيد فيه ولا مسود، ولا أشراف فيه ولا عبيد، نظاما يدع ابن الرجل من عامة الشعب في مصر يضرب "ابن الأكرمين" ابن حاكم مصر بأمر الخليفة وإمام الجموع. وهذا الدين لا يدخل نفسه أبدا في الشؤون، عمرو بن العاص العلمية البحتة ولا العلوم التطبيقية المحضة باعتبارها من أمور الدين و" أنتم أعرف بشؤون دنياكم" قاعدة أساسية فيه، وعندئذ يخرج نفسه نهائيا من الميدان الذي حشرت الكنيسة فيه في القرون الوسطى، فحرقت العلماء وسجنتهم لأنهم يتحدثون في العلم، وهي تحشر نفسها فيه[2]

وأما شؤون الاجتماع وشؤون العبادات وسائر ما يتعلق بروح الإنسان وفكره، فكل ما لم يحلل حراما منصوصا عليه نصا صريحا أو يحرم حلالا منصوصا عليه نصا صريحا، فهو رأي يحتمل الصواب والخطأ، ويجادل صاحبه بالحسنى ويحميه الإسلام من أن يصيبه الأذى.[3]

أما الحدود الإسلامية فهي شيء يدخل في دائرة الجرائم الاجتماعية التي تصان بها حرمة المجتمع وكرامته ومصلحته، فهذه الحدود كقطع يد السارق، وجلد السكير...قد تبدو قاسية عن النظرة الأولى، وعند من لم يدرس فكرة هذا الدين الكلية وقواعده العامة، فالإسلام لا يقيم هذه الحدود على مرتكبي تلك الجرائم، إلا بعد أن لا يكون لهم عذر ما في ارتكابها ولا شبهة في وقوعها.[4]

إنه يقطع يد السارق الذي لم يسرق اضطرارا ليطعم نفسه أو يطعم أهله، فإذا كانت هنالك مبررات اجتماعية أو فردية تضطر إلى هذه الفعلة فلا عقوبة، بل ربما عاد بالعقوبة على من مع غلمان سرقوا ناقة، فلما علم أنهم دفع المجرم إلى ارتكاب

[1] سيد قطب، معركة الإسلام والرأسمالية، ص 75
[2] سيد قطب، معركة الإسلام والرأسمالية، ص 75، ص 81
[3] المصدر نفسه، ص 81
[4] المصدر نفسه، ص 83

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

جريمته، وهكذا فعل عمر سرقوا لأن سيدهم لا يعطيهم الكفاية من الطعام، أطلقهم وغرم السيد ثمن هذه الناقة ضعفين، ولما كان الجوع في عام الرمادة عطل حد السرقة[1]

د. المرأة (الحريم) :

هي شبهة قوية لصقت بهذا الدين، وهي بعيدة عن روحه وتعاليمه. لقد كانت وثبة الإسلام بالمرأة وثبة ثورية بالقياس إلى العصر وما تزال إلى اليوم خطوة إنسانية كريمة، لم تزد عليها الحضارة الغربية إلا حرية الاستهتار. فالكثيرات يخشين لو عاد الإسلام إلى الحكم أن يردهن رقيقا أو أن يحبسهن في الحريم، وهي خشية لا أساس لها ولا يعرف الإسلام منشأها، والذي نعلمه ونؤكده أن المرأة الفاضلة ليس لها أن تخشى من الإسلام وحكمه شيئا، فقد منحها الإسلام من الحرية الواسعة الكريمة، منحها حق الملك والكسب بالطرق المشروعة، ومنحها حرية تزويج نفسها ممن تشاء بلا ضغط ولا إرغام، ومنحها حق الخروج والدخول في ثياب محتشمة، لا تثير الشهوات ولا تجعلها نهبا للنزوات[2] صاحب هذا الدين، يذهبن إلى المسجد للصلاة.

لقد كان النساء في عهد محمد السوق للتجارة، ويخرجن في الغزوات لتشجيع الرجال، فليس الإسلام الذي كان يأمر السلاطين بإلقاء الرجال في جب الحيات، وكذلك لم يكن هو الذي يأمر الرجال بإلقاء النساء في الحريم إنما كان ذلك ظلما شائعا ذهب ضحيته الرجال والنساء سواء.[3]

فحكم الإسلام سيرد للمرأة حريتها الكريمة والذي ينقذها من الرجعية التي لا تزال تسيطر في بعض الأوساط، وينقذها كذلك من الإباحية التي خرجت من وسط الأرستقراطية، إنه سينقذ روح الإنسانية المهينة في "الحريم" وفي "الصالون" سواء، فهي في الأولى مهينة بالكبت والظلم، وهي في الثانية مهينة بالرخص والابتذال، إنه لا خوف من الإسلام على امرأة فاضلة تزاول نشاطها الإنساني في حدود الشرف والكرامة، فأما اللواتي لا يسعهن هذا المجال، فلهن أن يخشين كل الخشية من حكم الإسلام.[4]

ح. مسألة الأقليات في حكم الإسلام:

[1] المصدر نفسه، ص 82
[2] أرفيس علي، المرجع السابق ص107
[3] أرفيس علي، المرجع السابق ص107
[4] سيد قطب، معركة الإسلام والرأسمالية، ص 75، ص 81

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

إن مجرد التخوف من حكم الإسلام على الأقليات القومية في بلاده، نوعا من التجني الذي لا يليق، فما من دين في العالم، وما من حكم في الدنيا، ضمن لهذه الأقليات حرياتها وكراماتها وحقوقها القومية، كما صنع الإسلام في تاريخه الطويل.[1]

وسأختار هنا عهدا من عهود الإسلام، كان ينتظر أن يكون أشد العهود تعصبا وقسوة وفظاظة، إذ أنه كان في العهود المظلمة وكان القائمون عليه هم الأتراك، وسأدع كاتبا مسيحيا أوروبيا يتحدث عنه، في معاملته للأقليات غير المسلمة وللبلاد المفتوحة، وسأكتفي بهذا المثال إن المعاملة التي أظهرها »: " دون سواه، قال "سيرت وارنولد" في كتابه "الدعوة إلى الإسلام الأباطرة العثمانيون للرعايا المسيحيين على الأقل بعد أن غزوا بلاد اليونان بقرنين لتدل على تسامح لم يكن مثله حتى ذلك الوقت معروفا في سائر أوربا[2]

فماذا لقي المسلمون في ذلك الزمان، بل ماذا يلقون حتى الآن، إن الجرائم الوحشية ترتكب ضدهم في الحبشة جارتنا، وفي روسيا ويوغسلافيا وسائر البلاد الشيوعية، التي يزعم المروجون لها هنا والمستغفلون من إخواننا أن لا علاقة لها بالأديان ولا عصبية فيها ضد الإسلام، لا بل أن هذه الجرائم الوحشية لترتكب ضدهم في عقر دارهم، في الشمال الإفريقي على يد فرنسا، وفي جنوب السودان على يد إنجلترا، وفي كل مكان يضع فيه الاستعمار قدمه حتى الآن[3]

وإن كل ما يذكرونه ضد حكم الإسلام هو أصداء لبعض المذابح الأرمينية على أيدي الترك المتأخرين، ولكن هذه المذابح لم تكن وليدة تعصب ديني، بل كانت ذات طابع سياسي، فهذه العناصر كانت شوكة تستخدم دائما لوخز الدولة العثمانية في إبان ضعفها، وتحركها روسيا أو لأسباب سياسية ناشئة عن روح صليبية، على أن ما وقع للأرمن المسيحيين وقع مثله للعرب المسلمين في سوريا في ظروف سياسية مشابهة.[4]

وعليهم أن يذكروا أن اضطهاد المسلمين في الحبشة، قد بلغ إلى حد استرقاق المدين المسلم الذي لا يوفي بدينه للمسيحي لمجرد أن الحكم للمسيحيين، ولو أن الأغلبية

[1] أرفيس علي، المرجع السابق ص109
[2] سيد قطب، معركة الإسلام والرأسمالية، ص 88
[3] أرفيس علي، المرجع السابق ص109
[4] سيد قطب، معركة الإسلام والرأسمالية، ص 88

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

العددية هناك للمسلمين.[1] وعلى الذين يتحدثون في هذا الموضوع أن يذكروا أن الولايات المتحدة الأمريكية التسع والأربعين، ليس فيها حاكم كاثوليكي واحد لمجرد أن الأغلبية هناك من البروتستانت، وكلاهما مسيحي لا يختلف عن صاحبه إلا في بالمذهب.[2]

2.2 المعوقات الخارجية:

إن لحكم الإسلام أعداء كثيرين في الخارج وفي الداخل، ويلتقون عند مصالح لهم مشتركة في إقصاء الإسلام عن الحكم في الحياة، ويرى سيد قطب أن العدو الخارجي الذي يحاول دائما أن يمنع الإسلام من الحكم يتمثل في الصليبيين والمستعمرين واليهود والشيوعيين.

1.2.2 حقد الصليبيين: الحروب الصليبية لم تضع أوزارها إلا في نفوس المسلمين وفي عالم المسلمين، أما في العالم المسيحي فهي مازالت قائمة وهي تشغل من أذهان القوم وسياستهم مكانا بارزا، يبدو في شتى مناحي الحياة، ونحن بغفلة منقطعة النظير نقدم لهم العون والمساعدة في هذه الحرب. وحين قضت السياسة الاستعمارية والواقع المادي أن تكون فلسطين للعرب، تحركت هذه الصليبية مرة أخرى بفكرة الوطن القومي لليهود. ثم انتهت إلى المأساة الأخيرة على عين انجلترا وأمريكا وبصرهما وبأسلحتهما وأموالهما، وقد اعتقد المغفلون عندنا أن الدسائس الاستعمارية والمصالح الشخصية وحدها هي التي تحرك انجلترا وأمريكا، ذلك أنهم لا يفطنون إلى أن روح الصليبية كامن وراء السياسة الاستعمارية، ويذكي العوامل الظاهرة ويقويها[3]

إن الصليبيين يعرفون ويقول الصرحاء منهم أن الإسلام هو الدين الوحيد الخطر عليهم، فهم لا يخشون البوذية ولا الهندوسية ولا اليهودية، إذ أنها جميعا ديانات قومية، لا تريد الامتداد خارج أقوامها، وهي في الوقت ذاته أقل من المسيحية رقيا، وأما الإسلام فهو دين متحرك زاحف، وهو يمتد بنفسه وبلا أية قوة مساعدة، وهذا هو وجه الخطر فيه في نظرهم جميعا، ولهذا يجب أن يحترسوا منه وأن يقاوموه ويكافحوه[4].

[1] أرفيس علي، المرجع السابق ص109
[2] سيد قطب، معركة الإسلام والرأسمالية، ص 88
[3] المصدر نفسه، ص 90
[4] المصدر نفسه، ص 90

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

ونحن الغافلين في الشرق لا ندرك ضخامة الجهود التبشيرية التي تبذلها أوروبا وأمريكا لنشر المسيحية في أرجاء العالم كله، لا ندرك أن للكنيسة الكاثوليكية وحدها نحو أربعة آلاف بعثة تبشيرية تنتشر في أنحاء الأرض ووراءها الأموال الضخمة التي لا تنفذ، والحكومات تشجع هذه البعثات وتؤيدها، لأنها ترمي من وراء المسيحية إلى أهداف سياسية واقتصادية، والدين الوحيد الذي يقف في وجه هذه الجهود هو الإسلام وحده كما تقول تقريراتهم.[1]

وهؤلاء الصليبيون يعرفون أن الإسلام ليس شيئا آخر غير حكم الإسلام، فهو لا يستطيع أن يتحقق كاملا وقويا في هذه الأرض بغير هذا الحكم، لذلك يحاربون رجعة الحكم إلى الإسلام محاربة قوية، يحاربونها بنفوذهم وبقوتهم، كما يحاربونها بوساطة المغفلين منا وذوي المصالح الذين يخشون حكم الإسلام عليها.[2]

2.2.2 حقد الغرب المستعمر: يصعب الفصل بين عداء الصليبية للإسلام وعداء الاستعمار، فكلاهما يغذي الآخر ويسنده ويبرره، والإسلام عقيدة استعلاء تكافح الاستعمار حين تستيقظ في نفوس أصحابها، ورجعة الحكم إلى الإسلام توقظ هذه الروح بشدة، فتفسد على الاستعمار خطة الاستغلال والاستذلال.[3]

إن الإسلام يحرم على أتباعه أن يخضعوا لأي حكم أجنبي، بل لأي تشريع لا يتفق مع شريعة الإسلام، والمستعمرون ليسوا في غفلة مثقفينا الفضلاء ولا في بلاهة حكامنا النابغين، إنهم يقيمون استعمارهم على دراسات كاملة متشعبة لكل مقومات الشعوب التي يستعمرونها كي يقتلوا بذور المقاومة، وقد قام الاستشراق على هذا الأساس، قام ليساعد الاستعمار من الوجهة العلمية، وليمد جذوره في التربة العقلية كذلك، ولكننا نحن هنا نعبد المستشرقين ببلاهة ونعتقد في سذاجة أنهم رهبان العلم والمعرفة، وبخاصة إذا موه علينا بعضهم بكلمة طيبة تقال عن ديننا وعن نبينا.[4]

وقد عمل الاستعمار على تشويه الإسلام وذلك من خلال ما يسميهم الناس برجال الدين من الأشياخ والدراويش، حيث يمثلون جمود الفكر وضيق الأفق، أو يمثلون

[1] أرفيس علي، المرجع السابق ص111
[2] سيد قطب، معركة الإسلام والرأسمالية، ص 91
[3] سيد قطب، معركة الإسلام والرأسمالية، ص 91
[4] المصدر نفسه، ص 96

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

الخرافة والجهالة ثم يصبغون ذلك بصبغة الدين، فيظهرونه بشعا منفّرا، ثم يرتكبون في سلوكهم الشخصي والاجتماعي جرائم وموبقات شائنة، فيناصرون الاستعمار باسم الإسلام.[1]

ويدرك الاستعمار أن قيام حكم إسلامي سيرد الدولة إلى عدالة في الحكم وعدالة في المال، والاستعمار يهمه دائما أن لا تحكم الشعوب نفسها، لأنه يعز عليه حينئذ إخضاعها، فلابد من طبقة ديكتاتورية حاكمة تملك سلطات استبدادية وتملك ثروة قوية، هذه الطبقة هي التي يستطيع الاستعمار أن يتعامل معها، لأنها أولا قليلة العدد ولأنها ثانيا تستعين به على البقاء، وتحتاج إليه ليسندها في وجه الجماهير، وهذه الطبقة تتولى إخضاع الجماهير وسياستها، ويتوارى خلفها الاستعمار فلا يبرز دائما بوجهه السافر المثير.[2]

فالاستعمار يرصد للشعوب التي تطلب الحرية كل قواه، ولكنه يختص الإسلام وبلاد الإسلام بعناية فائقة منذ عهد بعيد، ولقد كان يختصه بعنايته حتى قبل أن تهب الشعوب الإسلامية لتطالب بحرياتها المسلوبة، وذلك أن الاستعمار لم يغفل لحظة واحدة عن القوة الكامنة في العقيدة الإسلامية، وعن خطر هذه القوة على كل استعمار أجنبي.(3) ومن هنا كان الاستعمار وما يزال يخص الرقعة الإسلامية بعناية خاصة، تتساند الدول الاستعمارية كلها في كفاح كل حركة من حركات التحرير في العالم الإسلامي.[3]

3.2.2 حقد اليهود: يرى سيد قطب أن الأمة الإسلامية ما تزال تعاني من دسائس اليهود ومكرهم، وما يزال اليهود يضللون هذه الأمة عن دينها ويصرفونها عن قرآنها، وهم آمنون ما انصرفت هذه الأمة عن موارد قوتها الحقيقية، وكل من يصرف هذه الأمة عن دينها وعن قرآنها فإنما هو من عملاء اليهود سواء عرف أم لم يعرف أراد أم لم يرد. وسيظل اليهود في مأمن من هذه الأمة مادامت مصروفة عن الحقيقة الواحدة التي

[1] أرفيس علي، المرجع السابق ص112
[2] سيد قطب، معركة الإسلام والرأسمالية، ص 91
[3] سيد قطب، دراسات إسلامية، ط 11، دار الشروق، القاهرة، 2006، ص 170

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

تستمد منها وجودها وقوتها، حقيقة العقيدة الإيمانية والمنهج الإيماني والشريعة الإيمانية.[1]

ومن ثم يرى سيد قطب أن هؤلاء الأعداء اليهود وعملاؤهم يبذلون جهودا كبيرة لخداع هذه الأمة عن حقيقة المعركة، ليفوزوا منها بعد ذلك بكل ما يريدون من استعمار واستغلال.[2]

فقد عانت أمتنا التلبيس والدس من اليهود:﴿ يا أَهلَ الْكتابِ لم تلْبِسونَ الْحق بِالْباطلِ وتكْتمونَ الْحق وأَنتم تعلَمونَ﴾[آل عمران: 71]، وهذه خصلة من أهل الكتاب يجب أن يبصرها المسلمون ويأخذوا حذرهم منها.[3] لقد دسوا اليهود منذ اللحظة الأولى ثم تابعهم الصليبيون في التراث الإسلامي ما لا سبيل إلى كشفه إلا بجهد القرون، ولبسوا الحق الباطل في هذا التراث كله. اللهم إلا هذا الكتاب المحفوظ الذي تكفل الله بحفظه، ودسوا ولبسوا في التاريخ الإسلامي وأحداثه ورجاله، ودسوا في الحديث النبوي.[4] كما دسوا رجالات وزعامات للكيد لهذه الأمة، فالمئات والألوف كانوا دسيسة في العالم الإسلامي، وما يزالون في صورة مستشرقين وتلاميذ مستشرقين، الذين يشغلون مناصب الحياة الفكرية اليوم في البلاد التي يقول أهلها: إنهم مسلمون[5] إن لهذه القوى اليوم في العالم الإسلامي جيشا جرارا من العملاء في صورة أساتذة وفلاسفة ودكاترة وباحثين، وأحيانا كتاب وشعراء وفنانين وصحفيين، هذا جيش العملاء موجه لخلخلة العقيدة في النفوس بشتى الأساليب، في صورة بحث وعلم وأدب وفن وصحافة، وتوهين قواعدها من الأساس والتوهين من شأن العقيدة والشريعة سواء.[6]

يقول الله سبحانه وتعالى:﴿لَتجِدنَّ أَشد الناسِ عداوةً للَّذين آمنوا الْيهود والَّذين أَشركوا﴾ وأن تكون كذلك خطابا عاما [المائدة: 82] إن صيغة العبارة تحتمل أن تكون خطابا للرسول لأنه يتضمن أمرا ظاهرا مكشوفا يجده كل إنسان، وما يلفت النظر في صياغة العبارة هو تقديم اليهود على الذين أشركوا باعتبارهم أشد عداوة للذين آمنوا.

[1] سيد قطب، معركتنا مع اليهود، ط 12، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص 21
[2] أرفيس علي، المرجع السابق،ص114
[3] سيد قطب، معركتنا مع اليهود، ص 22
[4] المصدر نفسه، ص 23
[5] المصدر نفسه، ص 24
[6] أرفيس علي، المرجع السابق،ص114

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

[1]والمعركة بين الإسلام واليهود لا تزال دائرة، وستظل كذلك لأن اليهود لا يرضون إلا بتدمير هذا الدين، فهم يحاربون هذا الدين بالمؤامرات والدسائس وتحريك عملائهم في الظلام، أما اليوم فقد ازدادت المعركة ضراوة وسفورا أو تركيزا، بعد أن جاءوا من كل فج، وأعلنوا أنهم أقاموا دولة إسرائيل[2].

4.2.2 الحقد الشيوعي: الشيوعية هي نظرية فلسفية تنكر أن يكون في هذه الحياة مؤثر في سيرها، خارج عن مادتها، فهي تنكر منذ اللحظة الأولى أن يكون هناك إله ليس كمثله شيء في هذه الحياة، وهي تقرر أن المؤثرات في سير التاريخ كلها ناشئة من الماديات الواقعية، فهي تنكر منذ اللحظة الأولى أن يكون هناك رسل يوحى إليهم.[3] فالشيوعية تعادي الإسلام أكثر مما تعادي المسيحية، لأن المسيحية لم تعد قوة إيجابية في طريقها، ولأن الإسلام يملك أن يحقق عدالة اجتماعية اقتصادية بجانب احتفاظه بالله في العقيدة واحتفاظه بالروح في الحياة، ومثل هذا خطر كل الخطورة على الدعوة الشيوعية التي تعتمد أول ما يعتمد على سوء الأحوال الاجتماعية وبأس الجماهير، من أن تجد لها طريقا إلى العدالة غير الشيوعية.[4] لقد أحست الشيوعية بهذا الخطر في السنوات الأخيرة، فأخذت تجّند لمحاربة الدعوة إلى الحكم الإسلامي جهودها، وتثبت ضد هذه الفكرة دعايتها، وهذه الدعاية تأخذ طريقها في شعبتين: الشعبة الأولى وهي تشويه صورة الحكم الإسلامي، مستغلة تلك الصورة المزورة للحكومة الإسلامية في بعض الشعوب الشرقية وبيان عدم جدية هذا الحكم، أما الشعبة الثانية فهي الإلحاح في القول بأن العالم ينقسم فقط إلى كتلتين اثنتين الشرقية والغربية، وأن عدم الانضمام إلى الجبهة الشرقية معناه تقوية الجبهة الغربية، وكذلك أي تفكير في إيجاد كتلة ثالثة معناه تجزئة القوى مما يقوي جبهة الرأسمالية.[5] والشيوعيون يتعصبون لمذهبهم تعصبا يجعله في نظرهم غاية في ذاته، لا وسيلة لتحقيق عدالة اجتماعية،

[1] المصدر نفسه، ص 24
[2] سيد قطب، معركة الإسلام والرأسمالية، ص 109
[3] سيد قطب، معركتنا مع اليهود، ص 36
[4] سيد قطب، معركة الإسلام والرأسمالية، ص 110
[5] المصدر نفسه، ص ص 110،111

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

لذلك يهمهم أن يسدوا في وجوه الجماهير أي طريق آخر يمكن أن يحقق لها عدالة حقيقية، كي لا يبقى هناك إلا طريق واحد طريق الشيوعية.

الخاتمة:

من خلال استعراضنا لمعوقات النهضة عند سيد قطب يمكن أن نستنتج ما يلي:

1. أن سيد قطب يرى أن أساس الصراع بين الغرب والشرق الإسلامي هو صراع روحي ومادي. فالحضارة الغربية تطورت وجعلت نصب أعينها الجانب المادي وابتعدت عن الروحي الذي يثبت قيم وأخلاق المجتمع.

2. فسر أسباب تخلف العالم الإسلامي هو ابتعاده عن الجانب الإيماني الروحي.

3. يرى أن القوة العميلة التي أنشأها المستعمر هي سبب تخلف العالم الإسلامي، وهي المتسببة في تراجع مكانته، لأنها أخذت بأسباب الرفاهية المادية وضيعت قيم مبادئ المجتمع الذي حث عليها الإسلام.

4. نجد أنه امتداد للدعوة السلفية الإصلاحية التي مثلتها مدرسة المنار مع الشيخ محمد رشيد رضا، ويمكن اعتبار رشيد رضا هو الاتجاه الأكثر تأثيرا في التيار السلفي في بداياته مع حركة الإخوان المسلمين في مصر بزعامة حسن البنا، ذلك لأن رشيد رضا يجسد الجناح الأكثر تشددا داخل السلفية الإصلاحية، وكانت نزعته أكثر اعتمادا على ابن تيمية مدافعا عن الوهابية، كما كان عنيفا في مجادلاته ومواقفه من التيار التحديثي.

5. مشكلة العالم الإسلامي حسبه هي مشكلة إيمانية اعتقادية بالأساس، ولا يمكن فهم أو تحليل هذه المشكلة إلا من خلال الإسلام.

6. إن استبداد الحكام والملوك هو طريق التخلف، وهذا ما أشار إليه سيد قطب، حين ذهب إلى أن ما يهم الاستعمار دائما، أن لا تحكم الشعوب نفسها، لأنه يصعب عليه حينئذ إخضاعها، فلابد من طبقة ديكتاتورية حاكمة تملك سلطات استبدادية وتملك ثروة قوية، هذه الطبقة هي التي يستطيع الاستعمار أن يتعامل معها، لأنها أولا قليلة العدد ولأنها ثانيا تستعين به على البقاء، وتحتاج إليه ليدعمها في السيطرة على الشعوب.

7. يرى أن الحضارة الغربية ستتعرض إلى إفلاس مادي ومعنوي نتيجة ابتعادها على قيم وثوابت الأمة، ما يشهده العالم اليوم من حروب واضطرابات وأزمات اقتصادية

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

وسباق نحو التسلح، لدليل على إفلاس الحضارة الغربيةوفي ظل هذه الحضارة سيبقى المجتمع الإنساني دائما في حروب وأزمات.

8. لقد قدم السيد قطب مشروع نهضويا عميقا، لكنه ربطه بالجان الايماني الديني، لأنه يمكن للشعوب الإسلامية العربية ان تنهض وهي بعيدة عن الدين، فمشكلة العالم الإسلامي حسبه هي مشكلة دينية عقائدية، لا علاقة لها بالفلسفة ولا العلم.

9. ورأى أن الدين لا يتحول إلى حياة إسلامية، إذا لم تدرك العصبة المؤمنة في الأرض أن الدين عقيدة تتمثل في إفراد الله سبحانه بالألوهية ومن ثم إفراده بالحاكمية، ولكنه في نفس الوقت لم يغفل الشروط الموضوعية اللازمة لبناء الحضارة الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. سيد قطب، معالم في الطريق، ط 6، دار الشروق، القاهرة، 1979.
2. ـــــــــ، العدالة الاجتماعية في الإسلام، ط 13، دار الشروق، القاهرة، 1993.
3. ـــــــــ، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ط 15، دار الشروق، القاهرة، 2002.
4. ـــــــــ، معركة الإسلام والرأسمالية، ط 13، دار الشروق، القاهرة، 1993.
5. ـــــــــ، نحو مجتمع إسلامي، ط 10، دار الشروق، القاهرة، 1993.
6. ـــــــــ، الإسلام ومشكلات الحضارة، ط 11، دار الشروق، القاهرة، 1992.
7. ـــــــــ، دراسات إسلامية، ط 11، دار الشروق، القاهرة، 2006.
8. ـــــــــ، معركتنا مع اليهود، ط 12، دار الشروق، القاهرة، 1993
9. محمد حافظ دياب، سيد قطب الخطاب والإيديولوجيا، دون طبعة، دار العالم الثالث.
10. طارق البشري، الحركة الإسلامية، ط 2، دار البراق للنشر، تونس، 1990.
11. علي بودربالة، منهج التغيير الاجتماعي في الفكر الإسلامي، ط 1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
12. محمد عمارة، الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري، دار الشروق، مصر، 1968.
13. مالك بن نبي وسيد قطب، جدلية الحضارة والتخلف، مرصد مينا في دراسات تنويرية، اطلع عليه بتاريخ 2 ديسمبر 2018
14. أرفيس علي، إشكالية النهضة بين مالك بني نبي وسيد قطب، دراسة تحليلية
15. Adnan Musallam, From secularism to jihad: SayyidQutb and the foundations of radical Islamism, British Librarycataloguing in Publication Data is available, 2005